

٦ - حكاية الوفد الكسروى لأستاذ جليل

عامر بن الطفيل

يقول عامر بن الطفيل : « وبالحرى إن أداتك الأيام وثابت الأُحلام أن تحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر على أمر يذكر... »
فن يعنى منشيء (القامة) بما سطر ؟ ومن ذا الذى ستلف الأحياء عليه ، وتنقاد له ؟

أغلب الظن أنه أوما إلى ما أعلنه سطوح الذئبي وشرق الأتغارى وسيف بن ذى زن . وإن قصد الصانع عامر بن الطفيل استناداً إلى روايات من نوع خبره رُويت فقد أبدى فى ضلاله . وهذه نبت مما زخرفوه لعامر على طرّفاً وأفاكيه :

« كان أبو على عامر بن الطفيل من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها أمناً حتى بلغ ذلك أن فيصر ملك الروم كان إذا قدم عليه قادم من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فإن ذكر نسباً عظم عنده ، حتى وفد عليه علقمة بن علاثة ،

— أنت تعرف أنى لا أرى هذا الرأى

— وأنت تعرفين أنى أنكر على المرأة جميع الحقوق

— جميع الحقوق ؟

— حتى حق الحب !

— إذن نفترق

— إن طاب لك الافتراق

— ولا نتلاق أبداً ؟

— أبداً أبداً

— ولكنى أرى هذه المعضلات تحتاج إلى حلول ، فهل نلتقى فى الأسبوع المقبل ، على شرط أن نظل متخاصمين فى الرأى ؟
ثم انصرفت وأنا من تلك العيون على ميعاد ، للمجادلة والاختلاف ، وستجادل وتختلف ، وتجادل وتختلف ، لأرى كيف ترفع ذراعها وتلوى وجهها ، ثم تحدى فى لافتنع
آمنت بالحب والجمال ، آمنت آمنت ، فزدنى اللهم إيماناً إلى إيمان .
زكى مبارك

فانتسب له ، فقال : أنت ابن عم عامر بن الطفيل ؟ ففضب علقمة وقال : ألا أراى أعرف إلا بعامر ؟ فكان ذلك مما أوغر صدره عليه وهجه إلى أن دعاه إلى المنافرة ... » (١)

« قدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يريد القدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى . أفأنا أتبع عقب هذا القى من قريش... » (٢)

« قدم عامر بن الطفيل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقدم معه أربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر لأمه ، فقال رجل : يا رسول الله ، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك . فقال : دع ، فإن يرد الله به خيراً يهده . فأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا محمد ، مالى إن أسلمت ؟

قال : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم

قال : تجمل لى الأمر بمدك

قال : لا ، ليس ذاك إلى (٣) ، إنما ذلك إلى الله (تعالى) يجعله

حيث يشاء

قال : فتجعلنى على الورى ، وأنت على المدر

قال : لا (٤)

قال : فإذا تجمل لى ؟

قال صلى الله عليه وسلم : أجعل لك أعتة الخيل تغزو عليها

قال : أو ليس ذلك إلى اليوم ؟ وكان أوصى إلى أربد

بن قيس : إذا رأيتنى أكله فقدر من خلفه فاضربه بالسيف .

فجمل عامر يخاصم رسول الله ويواجهه ، فدار أربد خلف النبي

ليضربه ، فاخترط من سيفه شبراً ثم حبسه الله (تعالى) فلم

يقدر على سله (٥) . وجعل عامر يوصى إليه ، فالتفت رسول الله فرأى

(١) شرح الفضليات للابن بارى

(٢) السيرة لابن هشام وتاريخ الطبرى

(٣) فى طبقات ابن سعد : قال : ليس ذاك لك ولا اتومك

(٤) فى الفائق : فأبى رسول الله ، فقام عامر منضياً وقال : لأملائها

عليك خيلاً جرداً ، ورجالاً مرداً ، ولأرطى بكل نخلة فرساً

(٥) فى (السيرة) : قال عامر لأربد : ويحك يا أربد ! أين ما كنت

أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على

نفسى منك ، وإيم الله لا أخافك بمد اليوم أبداً ، قال : لا أبالك ، لا تجعل

على ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل

حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

وكان عامر فاجراً جائراً ، وسماه مسهر بن زيد الحارثي (مبير قومه) وأراد يوم (كيف الرياح) قتله ، وأراحتهم منه ، فوجاه بالرمح في وجهه ، ففلق الوجنة ، وانشقت عين عامر فقأها (١) ، وترك مسهر الرمح في عينه . وقيل : إن عامراً وثب عن فرسه ، ونجا على رجليه ، وأخذ مسهر رمح عامر (٢) . وفي رائية عامر - وهي مفضلية - :

لعمري وما عمري على بهتين لقد شان حرَّ الوجه طمعة مسهر
ولسهر شمر في طمته هذه رواه (العقد) في (يوم فيف
الريح) وقد قال مسهر فيه : إنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل
« وقد كان بنو عامر أخذوا امرأة من بني عبس ، فالبث
عندهم إلا يوماً واحداً حتى استنفذها قومها ، وغر عامر بن الطفيل
بذلك ، وذكر أخذه إياها (٣) »

أبمثل هذه (البطولة) يظخر الفاخر ، وهل لعامر أن يقول
يقظان أو وستان : « والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى
تتبع العرب عقبي ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش »
كما قص ابن إسحاق ونقل ابن هشام وابن جرير تقول (السيرة)
لابن هشام :

« ... بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المنذر بن
عمرو في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين . إلى أهل
نجد (٤) فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهي بين أرض بني عامر
وحرة بني سليم - فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان يكتب
رسول الله إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينتظر في كتابه
حتى عدا على الرجل فقتله ، ... واستصرخ عليهم قبائل من بني
سليم من عصبية ورعيل وذكوان ... فخرجوا حتى غشوا
القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم
قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم برحمة الله ... »

فإذا صح ما نقل ابن هشام فكيف يجاسر عامر بن الطفيل
أن يفد على رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) كافرأ ،
لم يسلم ، سافكاً دماء من سفك دماءهم من المسلمين ، وقد دانت
العرب للنبي ، وقد ملك « الجزيرة » ثم يريد أن يقدم هو وأريد
على ما نوباه ، وحول رسول الله من هم حوله من أبطال الإسلام ،

(١) شرح المفضليات ، شرح الصيون

(٢) العقد (٣) الأغانى

(٤) في السيرة قال أبو براء عامر بن مالك لرسول الله : « لو بشت
رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعومهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك

أريد وما يصنع بسيفه ، فقال : اللهم ، اكفنيها بما شئت .
فأرسل الله على أريد صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته ، وولى
عامر هارباً ، وقال : يا محمد : دعوت ربك فقتل أريد ، والله
لأملأها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مرداً . فقال رسول الله :
ينمك الله من ذلك وإبنا قبيلة ، يريد الأوس والخزرج ، فنزل
عامر بيت امرأة سلولية ، فلما أصبح ضم عليه سلاحه ، وخرج
وهو يقول : واللوات لمن أحصر إلى محمد وصاحبه يعني ملك
الموت لأنفذهما برحى . فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل
ملكاً فلطمه بجناحه فأذراه في التراب ، وخرجت على ركبته
عذة (١) في الوقت عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول :
عذة كعذة البعير وموت في بيت سلولية ؟ ثم مات على ظهر
فرسه (٢) ...

ذلك مما زخرفوه لعامر . ولقد كبر الرواة ابن الطفيل
كثيراً ، وأقدموه فوق مرتبة عالية ، وتدوقوا في صيفه وتلوينه
ولكن الحق ينزله ، والتحقق يزيل عن وجهه كل صيبغ
وتزويق ، فقد أخبروا أن سبب المنافرة إنما هو مهارة (٣)
كانت بين عامر وعلقمة لا أن يقصر قال ما قال . ولما ذهبوا إلى
هرم بن قطبة بن سنان الفزاري ليقضى بينهما ؛ قال هرم لعامر :
« أتفاخر رجلاً لا تفخير أنت ولا قومك إلا بأبائه ؟ فما الذي
أنت به خير منه ؟ فقال عامر : ناشدتك الله والرحم ألا تفضل
على علقمة ، فوالله إن فعلت لا أفلح بعدها . هذه ناصيتي جزها
واحتكم في مالي ، فإن كنت ولا بد فاعلاً فسو بيني وبينه » (٤)
وعلقمة إنما ذهب إلى الروم ودخل على ملكهم - إن صح
الخبر - في زمن عمر « وقد كان شرب الخمر فضربه (رضي الله
عنه) الحد ، فلحق بالروم فارتد ، ثم رجع فأسلم (٥) » ، وعامر
هلك في أيام النبي (صلوات الله وسلامه عليه)

(١) في طبقات ابن سعد : فسلط الله على عامر داه في رقبته فاندلع

لسانه في حنجرته كضرع الشاة

(٢) مجمع الأمثال للميداني

(٣) و (٤) شرح الصيون لابن نباتة المصري

(٥) شرح المفضليات للأبباري . في تاريخ الطبري : كان علقمة

أسلم ثم ارتد في أزمان النبي ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالثام ،

فلما توفي النبي أتبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب مقدماً رجلاً ومؤخراً

أخرى ، وبلغ ذلك أبا بكر فيعت إليه سرية ... ثم أسلم فقبل ذلك منه

(لكت) إذا صحت رواية الأنباري والطبري فقد ارتد علقمة مرتين ..

وفي شرح الصيون أن عمر ولى علقمة حوران .